محنة اوبنهايمر ... أبو القنبلة الذرية

ولد جوليوس روبرت اوبنهايمر (١٩٠٤ – ١٩٦٧م) فى مدينة نيويورك لأبوين ثريين يهوديين من أصل ألمانى ، كان أبوه تاجراً ثرياً يعمل فى مجال استيراد الأقمشة ، أما والدته فكانت رسامة ، ولقد سمح ثراء العائلة بإقتناء لوحات لفنانين عالميين أمثال فان جوخ وبول سيزان وبول جوجان زينت جدران المنزل ، حيث عاش الصغير روبرت .

فى عام ١٩٢٢ التحق اوبنهايمر بجامعة هارفارد ، وأدرج فى برنامج الدراسات المكثفة التى شملت الرياضيات والعلوم والفلسفة والديانات الشرقية والآداب الفرنسية والإنجليزية ، لكنه أحب الكيمياء أكثر من أى مادة أخرى لأنها (أصل كل شئ) .

وفى عام ١٩٢٥ تخرج بامتياز مع مرتبة الشرف وتقدم اوبنهايمر بطلب للدراسة مع العالم (إيرنيست رذرفورد) فى مختبرات كافينديش فى كمبردج فى إنجلترا ، إلا أن الأخير كان يعتقد أن اوبنهايمر غير مؤهل للدراسة معه كطالب باحث ، فحوله إلى المدرسة فى مستوى أقل حيث كان عمله يتلخص فى تحضير (أفلام البيريليوم) وهو العمل الذى كان اوبنهايمر يراه مملاً للغاية .

ولقد دفعه رفض رذرفورد له كباحث إلى دراسة الفيزياء النظرية ،

فالتحق فى عام ١٩٢٦ بجامعة (غوتينجن) فى ألمانيا ، ونال شهادة الدكتوراه فى شهر مارس عام ١٩٢٧ .

بعد ذلك انضم إلى الهيئة التدريسية فى جامعة كاليفورنيا فى بيركلى ، ومعهد كاليفورنيا للتكنولوجيا ، وبذل جهوداً جبارة لتأسيس معهد (ويست كوست) للفيزياء المتقدمة ، وهو المعهد الذى أصبح لاحقاً واحداً من أهم المعاهد فى الولايات المتحدة .

فى ثلاثينيات القرن العشرين اقحم اوبنهايمر نفسه فى عالم السياسة ، حيث بدأت ميوله السياسية اليسارية فى التبلور ، مدفوعاً فى ذلك ربما بسببين هما ظهور النازية فى ألمانيا والكساد العظيم الذى أصاب الولايات المتحدة فى تلك الفترة ، ولم يتردد فى الإعراب عن تعاطفه علناً مع الحركات اليسارية فى الولايات المتحدة ، وتحديداً تلك ذات الصلة بالحزب الشيوعى الأمريكى ، حيث كان يقدم لها تبرعات سنوية ، وهو الأمر الذى تسبب له فى مشكلات أمنية عديدة عندما التحق بمشروع (القنبلة النووية).

وفى شهر أغسطس من عام ١٩٤٢ تولى الجيش الأمريكى المسئولية كاملة لانتاج القنبلة الذرية ، وهو المشروع الذى أصبح يعرف باسم (مشروع مانهاتن) وأصبح الجنرال ليسلى غروفز مديراً للمشروع ، فاستقر رأى غروفز على اوبنهايمر لإدارة البرنامج العلمى للمشروع ، وعينه مديراً للمختبرات المركزية لتصميم وتطوير القنبلة الذرية ، وذلك لأنه (عبقرى) على حد وصف غروفز له.

فى عام ١٩٤٣ اختار غروفز واوبنهايمر موقعاً لإقامة مختبر جديد للمشروع ، وكان الموقع المختار هو الهضبة الواسعة فى نيومكسيكو ، وأصبح الموقع يعرف باسم مختبر أسلحة (لوس الاموس) السرى ، وعلى الفور بدأ

اوبنهايمر فى استقطاب كادر مؤهل من العلماء الذين يجمعون بين الكفاءة والنشاط والموهبة ،والذين لا تزيد أعمارهم عن ٢٥ عاماً .

بحلول شهر يوليو من عام ١٩٤٥ أصبح مختبر (لوس الاموس) جاهزاً لإجراء أول اختبار تفجير نووى . وبعد ثلاثة أيام من إلقاء القنبلة الأولى المعروفة باسم (الصبى الصغير) على مدينة هيروشيما والثانية المعروفة باسم (الرجل البدين) على مدينة ناجازاكى استسلمت اليابان .

احتفل اوبنهايمر بانتهاء الحرب وبنجاح (مشروع مانهاتن) ولكن العدد الكبير من القتلى والجرحى والتشوهات نتيجة الإصابة بالإشعاع الذرى الناجم عن القنبلتين أثر فى نفسه كثيراً ، وجعله يشعر بندم بالغ ، فأبلغ المسئولين الحكوميين بأن معظم العلماء فى المشروع لن يواصلوا عملهم ، وقال للرئيس هارى ترومان :(أشعر بأن يدى ملطختان بالدماء) فرد ترومان قائلاً : (لا تهتم ستزول الدماء عندما تغسلهما) وفى شهر أكتوبر من العام نفسه قدم اوبنهايمر استقالته من منصبه كمدير لمختبر (لوس الاموس).

بعد نهاية الحرب العالمية الثانية حصل اوبنهايمر على اعتراف وتقدير الأمة الأمريكية بوصفه (أبو القنبلة الذرية) وتمت ترقيته بعد استقالته من المشروع إلى مستشار علمى للحكومة الاتحادية ، ولكن على الرغم من منصبه الكبير هذا ، فقد كان يضغط بقوة من أجل التوصل إلى آلية لتحقيق رقابة دولية على الطاقة الذرية ، ولذا تم تعيينه رئيساً للهيئة الاستشارية العامة للجنة الطاقة الذرية .

وفى ١٧ يناير ١٩٥٢ فجر الأمريكيون أول قنبلة هيدروجينية فى مياه المحيط .

وتمسكاً بموقفه انسحب من رئاسة اللجنة الاستشارية للطاقة الذرية ،

وقرر التفرغ لعمله فى جامعة برنستون ، لتبدأ الدراما السياسية الرهيبة التى عرفت باسم " مسألة اوبنهايمر ".

فى ديسمبر ١٩٥٣ تسلم اوبنهايمر وهو فى معمله بجامعة برنستون خطاباً من لجنة مجلس الشيوخ الأمريكى يتضمن أربعة وعشرين إتهاما!! ، وكانت خلاصة هذا الاتهامات أنه ليس صالحاً للعمل فى لجنة الطاقة الذرية الأمريكية ، وأنه قد تقرر بناء على ذلك سحب الترخيص الذى كان ممنوحاً له بالاطلاع على الوثائق السرية للجنة .

وأحيل اوبنهايمر للمحاكمة واستمرت المحاكمة من ١٢ أبريل إلى ٦ مايو ١٩٥٤ ونشرت وثائقها بعد ذلك فى تقرير كبير بعنوان (حول مسألة اوبنهايمر) وأدانت اللجنة أبو القنبلة الذرية باعتباره خطراً على أمن الولايات المتحدة .

ولأن المحاكمة كانت فى فترة اشتعال المكارثية فقد كانت كل الاتهامات التى وجهت إلى اوبنهايمر باستثناء الاتهام الأخير تتعلق باتصالاته قبل الحرب بعناصر ومنظمات يسارية أمريكية ، ومع أنه لم ينكر هذه الاتصالات ورغم أن الجنرال (ليزلى جروتز) عندما اختاره للعمل معه خلال الحرب كان يعرف كل هذه الارتباطات السياسية ، إلا أن اللجنة قد صممت على أن تحاكمه حول هذه الاتصالات السياسية ، أى محاكمة بأثر رجعى !!.

وأما الاتهام الأخير الرابع والعشرين ، فقد كان الأخطر لأنه يتعلق بموقفه المعارض لإنتاج القنبلة الهيدروجينية ، وحول هذا الاتهام كان تيللر هو شاهد الاثبات الأول وكان رئيس لجنة الطاقة الذرية هو شاهد الاثبات الثانى ، وبطبيعة الحال كانت شهادة هذين الاثنين (غريمه وخليفته) كافية لإدانة اوبنهايمر ، ومع أن اوبنهايمر كان بالفعل معارضاً لإنتاج القنبلة الهيدروجينية

على أسس فنية وسياسية واضحة ، ولأن ضميره كان يعذبه للدور الذى لعبه فى قنابل اليابان الذرية بشكل مؤلم وواضح ، إلا أن موقفه أثناء المحاكمة لم يكن مع الأسف بهذا الوضوح ، فلقد تردد فى ردوده على أسئلة اللجنة وتذبذب.

لقد فقد العالم الكبير شجاعته فى هذه اللحظة التاريخية الحاسمة ، وبدلاً من أن يدافع فى جرأة عن رأيه بدت محاكمته وكأنها تكرار مأساوى لموقف (جاليليو) عند محاكمته من قبل محاكم التفتيش .

وخلال هذه الفترة شهد عدد كبير من العلماء والشخصيات لصالحه ، وعلى الرغم من أن نتيجة الجلسات أسفرت عن عدم التشكيك فى ولائه للولايات المتحدة (وإن لم تأتمنه على أسرار حكومية) إلا ان السلطات أدانته ولم تمنحه شهادة (حسن السير والسلوك) مرة أخرى .

تفرغ اوبنهايمر بعد ذلك للتدريس الجامعى حتى عام ١٩٦٣ حتى تولى جون كيندى الحكم وقرر رفع التهمة نهائياً عن اوبنهايمر ورد اعتباره ومنحه أعلى وسام علمى أمريكى ، وهى جائزة أنريكو فيرمى ، ولدى طرح القرار على الكونجرس فى ٢٢ نوفمبر ١٩٦٣ لمناقشته عارضته الأغلبية الجمهورية بشدة لكن الرئيس تجاهل رفض الكونجرس وقرر استخدام حق الفيتو ، وفى نفس اليوم أى ٢٢ نوفمبر ١٩٦٣ أغتيل الرئيس كيندى فى مدينة دالاس ، على أن الاغتيال لم يمنع خليفته الرئيس لندون جونسون من المضى قدماً فى تنفيذ قرار الرئيس الراحل كيندى وقلد اوبنهايمر الوسام العلمى فى الموعد المقرر فى ٢ ديسمبر ١٩٦٣.

وظل اوبنهايمر يشغل منصب مدير معهد الدراسات المتطورة فى بريستون حتى عام ١٩٦٦ ثم استقال بعدها ، ولقد علق أحد زملائه على ذلك قائلاً إن المحنة التى تعرض لها (كسرت روحه) وفى الثامن عشر من فبراير من العام ١٩٦٧ توفى روبرت اوبنهايمر .

اندريه سخاروف

عندما يصبح " منقذ روسيا " عدواً للدولة !!

عندما توفى " اندريه سخاروف " عام ١٩٨٩ تزايد نفوذ هذا العالم الفيزيائى الذى أمضى أغلب حياته تحت الإقامة الجبرية فى الاتحاد السوفيتى ، حيث تحولت مبادئ هذا الرجل إلى رمز ملهم لدعاة الحرية فى كل العالم ، وقد جعلت منه كل هذه الأشياء بالإضافة إلى وضعه تحت الإقامة الجبرية بطلاً بالنسبة للمواطنين العاديين فى كل مكان .

ولد سخاروف (١٩٢١ – ١٩٨٩ م) فى العاصمة السوفيتية موسكو وعلم نفسه القراءة وهو فى الرابعة من عمره ، وكان والده من عشاق الفيزياء حيث كان يجرى الكثير من التجارب الفيزيائية أمام الطفل الذى كان يرى الأمر وكأنه معجزات تتحقق ، وعندما التحق بجامعة موسكو فى الأربعينيات من القرن الماضى كان سخاروف يعتبر واحداً من أنبه الشباب السوفيتى فى ذلك الوقت .

وقد منعت حالة مرضية للقلب سخاروف من القتال فى الحرب ، وبدلاً من هذا اشتغل فى مصنع للذخيرة الحربية ، وطور أداة لاختبار قوة طلقات الرصاص المخترقة للدروع ، ولكن عبقريته الحقيقية برزت بعد الحرب ، حيث تم إرساله إلى إحدى القواعد السرية حيث يجرى تطوير القنبلة الهيدروجينية .

فى عام ١٩٥٣ نجح الاتحاد السوفيتى فى تطوير أول قنبلة هيدروجينية، و تمت تجربتها بنجاح فى كازاخستان ، ونتيجة ذلك أصبح سخاروف وهو فى الثانية والثلاثين من عمره أصغر عضو ضم إلى الأكاديمية السوفيتية ، ونعته زملاؤه بأنه " منقذ روسيا " ومنح ثلاث مرات أرقى وسام روسى (بطل العمل الاشتراكى) ، واعتبر شخصية ذات شأن مهم ، وحظر الطيران عليه ، وقام بحراسته فى جميع الأوقات رجال لجنة أمن الدولة السوفيتية KGB ، وكتب عنها سخاروف فيما بعد أنها أكثر سلاح مرعب فى تاريخ البشرية وقال إنه كان يعتقد فى ذلك الوقت أنه بمشاركته فى إنتاج القنبلة الهيدروجينية يعمل من أجل السلام الذى يمكن أن يتحقق بصورة أفضل فى ظل توازن القوى ، ولكن معرفة سخاروف بالآثار المدمرة للأسلحة النووية جعلته معارضاً لانتشار التسليح النووى والدخول فى سباق له .

وفى خريف عام ١٩٦٢ شهدت حياة عالم الفيزياء النووية السوفيتى اندريه سخاروف نقطة تحول مصيرية ، ففى ذلك الوقت كان قد بلغ الحادية والأربعين من عمره ويحمل درجة الدكتوراه فى الفيزياء ويعمل فى مجال تطوير الأسلحة النووية السوفيتية ، فقد كان كل من الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتى يخوضان صراعاً ضارياً من أجل التفوق النووى .

وفى سبتمبر من هذا العام كان الاتحاد السوفيتى يعتزم إجراء تفجير قنبلتين نوويتين فى الفضاء وليس تحت الأرض ، وكان سخاروف قد ساهم فى تصميم هاتين القنبلتين ، وخشى سخاروف من أن يؤدى الاشعاع الناتج عن تفجير هاتين القنبلتين فى الهواء إلى مقتل مئات الآلاف من المدنيين ، كما اقتنع فى ذلك الوقت بأن هذه التجارب سوف تشعل سباق التسلح بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى بصورة أكثر حدة ، وشعر بالإحباط عندما وجد أن أبحاثه العلمية سوف تتحول إلى نهايات مدمرة .

وفى الخامس والعشرين من سبتمبر اتصل سخاروف برئيس الوزراء السوفيتى فى ذلك الوقت " نيكيتا خروتشوف " وأبلغه أن التجربة المنتظرة لن تحقق أى نتيجة وأنها سوف تقتل آلاف الأشخاص بدون سبب ، وأبلغ خروتشوف سخاروف أنه سيتم إحالته للتحقيق بسبب تأجيله هذه التجربة النووية.

وقررت الحكومة السوفيتية فصله من عمله كعالم فيزياء نووية بسبب موقفه السياسى .

وبدأ اسم سخاروف يتردد خارج الاتحاد السوفيتى كأحد الأصوات الداعية للسلام ، الأمر الذى تسبب فى منحه جائزة نوبل للسلام فى سنة ١٩٧٥، ومن ثم استخدم الكرملين أجهزته لمحاكمته واسكاته ، وأعلن أنه العدو رقم واحد فى سنة ١٩٨٠ ، وحكم عليه بالنفى الداخلى فى منطقة " جوركى " النائية وقام هناك بسلسلة اضرابات عن الطعام ، وحتى فى سنة ١٩٨٥ كان سخاروف الكهل فى مستشفى يقاوم قيوده بعنف ويقوم بتغذيته قسراً رجال لجنة أمن الدولة السوفيتية KGB ... وقد أدى رفضه للصمت رغم الحصار والنفى إلى أن يصبح بطلاً حتى أن السوفيت استقبلوه عند عودته لموسكو من منفاه استقبال الأبطال .

وفى السنوات الثلاث التالية واصل سخاروف القتال من أجل حرية التعبير ، وحق التصويت والعفو العام عن المسجونين السياسيين ، وتم انتخابه لعضوية البرلمان الروسى الذى كان أول مجلس نيابى يتم انتخابه بطريقة ديمقراطية فى الاتحاد السوفيتى وذلك فى ظل حكم آخر رئيس للاتحاد السوفيتى جورباتشوف ... وتوفى سخاروف عام ١٩٨٩ .

حائط برلين

جدار طويل كان يفصل بين شطرى برلين الشرقية وبرلين الغربية ، بدأ بناءه فى ١٣ أغسطس ١٩٦١م ... ذلك أنه بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥م ، قسمت ألمانيا إلى أربعة مناطق محتلة بحسب أتفاقية مالطة بين الدول المحتلة وهى الولايات الأمريكية المتحدة والاتحاد السوفيتى والمملكة المتحدة وفرنسا ، وتبعاً لذلك قسمت العاصمة السابقة للرايخ الألمانى إلى أربعة مناطق أيضاً ، وفى ذات الحقبة بدأت الحرب الباردة بين المعسكر الشرقى الاشتراكى والغربى الرأسمالى ، ومثلت برلين مسرحاً للمعارك الاستخباراتية بينهما.

وفى عام ١٩٤٩م بعد قيام جمهورية ألمانيا الاتحادية (ألمانيا الغربية) فى المناطق المحتلة من قبل الولايات الأمريكية المتحدة والمملكة المتحدة وفرنسا، وقيام جمهورية ألمانيا الديمقراطية (ألمانيا الشرقية) بعد ذلك فى المنطقة المحتلة من قبل السوفييت ، بدأ العمل على قدم وساق على حدود كلا البلدين لتأمين الحدود ، وبقيام كيانين دعم التقسيم السياسى لألمانيا بين ألمانيا الشرقية وألمانيا الغربية ووضع بشكل أولى شرطة وحرس للحدود ، ولاحقاً على الطرف الشرقى بدء وضع الأسوار ، كانت مدينة برلين المقسمة أربعة

أقسام منطقة خالية من الجنود ، وكانت مستقلة عن الدولتين الألمانيتين الجديدتين، ولكن عملياً لم يكن الحال كذلك ، فالمناطق الغربية من برلين أصبحت أقرب إلى كونها ولاية ألمانية غربية ، وخلافاً للمعاهدات أعلنت برلين الشرقية عاصمة لجمهورية ألمانيا الديمقراطية.

ومع زيادة حدة الحرب الباردة بدء تعزيز الحدود بين ألمانيا الشرقية والغربية ، وفى الحقيقة أن هذه الحدود لم تعد فقط حدوداً بين ألمانيتين ، وإنما أصبحت بين المعسكرين الشرقى والغربى ، بين حلف وارسو وحلف الناتو ، أى بين ايديولوجيتين سياسيتين وقطبين اقتصاديين وثقافتين كبيرتين .

وكانت أعداد كبيرة من مواطنى ألمانيا الشرقية قد بدأوا فى الانتقال إلى ألمانيا الغربية عبر برلين على وجه الخصوص ، لأنه كان من شبه المستحيل مراقبة الحدود فيها حيث كانت تمر فى وسط المدينة وأحيائها ، حتى أنه بين عامى ١٩٤٩م – ١٩٦١م ترك ما يقرب من ٣ مليون ألمانى جمهورية ألمانيا الشرقية ، وكانوا فى معظم الأحيان من المتعلمين والمثقفين مما هدد كيان الدولة، كما أن كثيراً من سكان برلين الغربية كانوا يحصلون على المواد الأساسية بأسعار مغرية من الشرق من خلال تبادل العملة فى السوق السوداء مما هدد القدرة الاقتصادية لألمانيا الشرقية ، فكان سور برلين الوسيلة الأساسية لمنع ذلك .

وفى نهاية الثمانينيات وعندما بدأت بوادر انهيار الكتلة الشرقية ... وفى ٩ نوفمبر ١٩٨٩م بعد أكثر من ٢٨ عاماً على بناء سور برلين الذى قسم مدينة وشعباً ، أعلن جونتر شايكوفسكى عضو المكتب السياسى للحزب الشيوعى الألمانى خلال مؤتمر صحفى أن ألمانيا الديمقراطية (الشرقية) قد فتحت المعابر الحدودية ، وبعدها بقليل انطلق الآلاف من مواطنى ألمانيا الديمقراطية إلى الشطر الغربى فى ألمانيا الغربية آنذاك ومروا عبر الحدود المفتوحة ،

واعتبر هذا اليوم يوم سقوط سور برلين ، مؤشراً أساسياً فـــى انهيـــار الكتلـــة الشرقية نفسها .

وفي ٣ أكتوبر ١٩٩٠م تم إعادة توحيد الألمانيتين مرة أخـــرى عنـــدما أعلنت خمس من الولايات الفيدرالية التى أعيد إنشاؤها فـــى ألمانيـــا الشـــرقية الانضمام رسمياً إلى ألمانيا الغربية .

أزمة الصواريخ الكوبية

فى إطار صراع السيطرة على العالم والذى دار بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى أعقاب الحرب العالمية الثانية ، كانت الولايات المتحدة فى عهد الرئيس ايزنهاور فى محاولتها وقف المد الشيوعى قد أعدت خطة للهجوم على كوبا ، وذلك بإرسال مجموعات من الكوبيين المهاجرين إلى أمريكا لاحتلال جزيرة كوبا بدعم من الجيش الأمريكى ، وفور تولى الرئيس كنيدى الحكم أمر بتنفيذ الخطة فى ابريل ١٩٦١ ، إلا أن الهجوم البرمائى قد فشل فشلاً ذريعاً باعتراف كنيدى نفسه وتم إبادة القوات المهاجمة فيما عرف بأزمة " خليج الخنازير " ... وعلى جانب آخر قامت الولايات المتحدة بتشييد قواعد صواريخ فى منطقة ازمير بتركيا يبلغ مداها ٢٤٠٠ كم ، أى أن موسكو كانت على بعد ١٦ دقيقة فقط من مرمى تلك الصواريخ وهو ما أثار غضب الرئيس السوفيتى خروتشوف.

وفى ١٥ أكتوبر ١٩٦٢ اكتشفت طائرات التجسس الامريكية منصات لصواريخ سوفيتية فى كوبا ، مما اعتبر تهديداً مباشراً للولايات المتحدة نظراً للمسافة القصيرة التى تفصل بينها وبين كوبا والتى تبلغ حوالى (١٤٠ كم) ، وبناء على ذلك اصدر الرئيس الأمريكى كنيدى أمراً للبحرية الأمريكية

بمحاصرة جزيرة كوبا وتفتيش كافة السفن المتوجهة إليها ، ومصادرة أى أسلحة هجومية على هذه السفن ، وفى ٢٧ أكتوبر ١٩٦٢ بعث الرئيس الكوبى كاسترو برسالة خطية للرئيس السوفيتى يحثه فيها على شن هجوم نووى على الولايات المتحدة ، وأصبح العالم على شفا حرب نووية ، ولكن الاتحاد السوفيتى لم يستجب لطلب كاسترو ، ونتيجة للتدخلات رضخ الاتحاد السوفيتى لطلب إزالة الصواريخ الكوبية مقابل فك حصار الولايات المتحدة عن كوبا وتعهدها بعدم غزوها والتخلص من الصواريخ الأمريكية بتركيا.

السوفيت
يحجزون الصفوف الأولى فى الفضاء

فى ٤ أكتوبر ١٩٥٧ هز السوفيت العالم كله بإذاعة خبر إطلاق القمر الصناعى السوفيتى الأول " سبوتنيك – ١" إلى الفضاء ، مع رسالة واضحة أن حاملة الصواريخ (R-7) التى وضعت سبوتنيك فى مدارها قادرة أيضاً على حمل الرؤوس النووية وإطلاقها فى أى مكان فى أوربا ... وبينما أثار الخبر دهشة العالم الثالث وسعادة كل مؤيدى الاتحاد السوفيتى ، فقد ساد الولايات المتحدة والكتلة الغربية حالة من الفزع فيما عرف بعد ذلك كرد فعل " بأزمة سبوتنيك " .

وبعد ذلك بأقل من شهر ، وتحديداً فى ٣ أكتوبر ١٩٥٧ أكد السوفيت سبقهم إلى الفضاء وأطلقوا " سبوتنيك – ٢" وعلى متنها أول كائن حى يدور خارج الجاذبية الأرضية ... الكلبة " لايكا " .

واشتعل بذلك سباق الفضاء بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة ، وكان سيرجى كورولييف هو المهندس الرئيسى لبرنامج الفضاء السوفيتى ، بينما كان العالم الألمانى فون براون هو المهندس الرئيسى لبرنامج الفضاء الأمريكى .

بعد أربعة أشهر تقريباً من إطلاق أول قمر صناعى " سبوتنيك – ١"

أطلقت الولايات المتحدة قمرها الصناعى الأول " اكسلبورر -١ " لكن بعد الكثير من حالات فشل الإطلاق المحرجة .

وفى ١٢ أبريل ١٩٦١ أطلق الاتحاد السوفيتى سفينة فوستوك وعلى متنها أول إنسان فى تاريخ البشرية يدور حول الأرض مخترقاً حاجز الجاذبية الأرضية ، " يورى جاجارين " الذى عاش بين عامى (١٩٣٤ - ١٩٦٨) ، ولكن أكثر ما أذهل الناس فى خبر التحليق الفضائى الأول فى تاريخ البشرية هى الأخطار المجهولة التى تحف به ، حيث كان عصر غزو الفضاء ما زال حديثاً ، ثم أننا لم نكن نعرف كيف يتصرف دماغ الإنسان و كيف تتصرف أعضاء جسمه فى حالة إنعدام الوزن ، وهى الحالة التى يمر بها رائد الفضاء حينما يتواجد مع سفينته فى مدار حول الأرض ، كما أن جاجارين طار فى سفينة فضائية لم تجرب من قبل ، وأن أجهزة الكبح الضرورية لإخراج السفينة من مدارها حول الأرض وجعلها تأخذ مساراً معيناً فى طريق العودة إلى الأرض لم تنجح عملياً فى التحليقات السوفيتية إلا ثلاث مرات من مجموع خمس رحلات ، وكل هذا يعنى أن رائد الفضاء قد لا يعود سالماً إلى الأرض ، فيواجه مصيره البائس فى الفضاء خنقاً وحرقاً ، وإذا عرفنا أن جاجارين كان يجلس فى المركبة الفضائية فوستوك ، والتى هى عبارة عن كرة لا يزيد قطرها عن مترين وأربعين سنتيمتراً ، مثبتة على صاروخ يزن ٢٨٧ طناً وبطول ٣٧ متراً ، لأدركنا وضع جاجارين الحرج والخطير.

وفى الحقيقة فإن جاجارين قد واجه فعلاً متاعب خطيرة جداً فى رحلته التاريخية هذه ، والثابت جيداً أن جاجارين أظهر هدوءاً ورباطة جاش أسطوريتين ، واتخذ القرارات الصحيحة فى اللحظات المناسبة ، ومن هذه المتاعب أن خللاً فنياً قد اكتشف فى باب المركبة الفضائية وذلك فى الدقائق الأخيرة قبل الإطلاق وتمكن الفنيون بعد موجة من الرعب من إصلاحه ، وحين

فتح مصمم السفينة باب المركبة وجد جاجارين يدندن اغنيته الوطنية المفضلة "الشعب يسمع ، الشعب يعرف أن ابنه يحلق بين الغيوم " وبعد إطلاق السفينة الفضائية بدقائق قليلة انقطع الاتصال اللاسلكى مع جاجارين وكانت تسمع بدلاً من ذلك حشرجات مخيفة ظنوا أنها آخر أنفاس جاجارين ، وعندما عاد الإرسال مرة أخرى سمعوه يدندن نفس الأغنية ، كان يدرك هذه المخاطر ويدرك إرتباك وهلع المشرفين على الرحلة فأراد أن يخفف من وطأة هذا الكابوس ، وحتى فى طريق عودته من الفضاء أدرك أن هبوط المركبة على الأرض سيكون ارتطامياً فقفز بالباراشوت وهبط سالماً على الأرض بعد أن دار حول الأرض لمدة ١٠٨ دقيقة ، وقد أصدرت زوجته كتاباً حول رحلته حمل عنواناً درامياً " الـ ١٠٨ دقيقة وحياتنا كلها " ... ومن المعروف أن يورى جاجارين قد لقى مصرعه عام ١٩٦٨ فى تحطم طائرة كان يقودها فى رحلة تجريبية وكان عمره أربعاً وثلاثين سنة فقط.

وفى ٢ فبراير ١٩٦٢ كان " جون جلين " أول رائد فضاء أمريكى يطير حول الأرض فى سفينة الفضاء " فريندشيب ٧ ".

وفى ١٦ يونية ١٩٦٣ أصبحت السوفيتية " فالينتينا تريشكوفا " أول رائدة فضاء فى العالم تدور حول الأرض حيث انطلقت فى السفينة " فوستوك – ٦ " أى " الشروق " لتدور حول الأرض (٤٤) دورة وهى جالسة بمفردها داخل السفينة الضيقة ، قاطعة مسافة ٢ مليون كم خلال ما يقرب من ٧١ ساعة ، وكان من أولى مهامها متابعة سفينة فضاء أخرى انطلق بها زميل لها قبل ذلك بيومين ، واقتربت بسفينتها من سفينته لمسافة خمسة كيلومترات ، ووقتها لم يكن التحام سفن الفضاء ببعضها قد تحقق وكانت عمليات الاقتراب كهذه تعد خطراً كبيراً ... وبعد هذا الإنجاز بعشرين عاماً انطلقت أول رائدة فضاء أمريكية "سالى رايد" إلى الفضاء فى ١٨ يونيو ١٩٨٣ .

وفى ١٨ مارس ١٩٦٥ قام رائد الفضاء الروسى اليكس ليونون بـأول سير فى الفضاء حيث أمضى ٢٠ دقيقة خارج المركبة " فسخود - ٢"، وفى ٢٧ يناير ١٩٦٧ مات فيرجيل جريوم وادوراد وايت وروجر تشافى فـى حريـق بمنصة الإطلاق فى مركز كيندى للفضاء وأصبحوا أول ضحايا برنامج الفضاء الأمريكى ، وفى ٢٤ أبريل ١٩٦٧ كان فلاديمير كوماروف أول رائـد فضـاء روسى يموت فى مهمة فضائية عندما تشابكت مظلة الهبوط فى " سيوز - ١".

وفى ٢٠ يوليو ١٩٦٩ أصبح الأمريكيان نيل ارمسترونج وادوين الدرين أول شخصين يهبطان على سطح القمر فى حدث راقبه أكثر من ٥٠٠ مليـون شخص حول العالم ، فى لحظة تعد من اللحظات الحاسمة من القرن العشرين .

وفى تاريخ سباق الفضاء كانت ملامح تفوق الاتحاد السوفيتى متعـددة وغزيرة ومتشعبة من أهمها أن السوفيت قد اطلقوا فى ١٩ أبريـل ١٩٧٠ أول محطة مدارية " ساليوت -١" أى " التحية " تحمل بشراً والتحمت بها عدة سـفن فضاء من طراز " سويوز " فى رحلات متعاقبة ، وكما تعددت الرحلات تعددت المحطات أيضاً ، فقد أطلق منها جيل يتألف من سبع محطات آخرها كان فـى عام ١٩٨٤ ، وبعد أن تطورت تصميماتها بدأت المحطـة المداريـة " ميـر " تستوى على مدارها منذ عام ١٩٨٦ وتميزت بإمكان التحام عدة سفن للبقاء بها فى نفس الوقت ، وكانت الشاحنات الفضـائية الذاتيـة الحركـة مـن طـراز "بروجريس" تنقل المؤن والشراب والوقود والملابس والبريد إليها فى رحـلات متعاقبة ... ولقد سجل الرواد السوفيت فى المحطات المدارية مدد بقاء قياسية ، تدرجت مع الوقت حتى بلغت ٣٦٦ يوماً فى نهاية عام ١٩٨٨ ، ولقد ضـرب هذا الرقم القياسى الرائد الروسى " رومانينكو " الذى خرج من سفينة الفضاء بعد هبوطها على الأرض وهو يركض ، دون أن يصيبه أى دوار أو تعب ، وفـى مارس ١٩٥٥ ، تجاوز هذا الرقم رائد آخر هو " فاليرى بولياكوف " حيث أمكنه

البقاء (٤٣٨) يوماً على نفس المحطة المدارية ... بينما أطول مدة بلغها الرواد الأمريكيون لم تتجاوز (٨٤) يوماً ، وحققها ثلاثة رواد فقط فى عام ١٩٧٤ .

ومن ملامح التفوق الفضائى السوفيتى أيضاً ، تصميمهم للصاروخ "انيرجيا" الذى فاق أقوى الصواريخ الأمريكية " ساترن – ٥ " الذى رفع كل سفن برنامج ابوللو إلى الفضاء ، فقد انطلق انيرجيا فى نوفمبر ١٩٨٨ ، وأذهل العلماء الأمريكيين لقوته الكبيرة ، وبمقارنة انيرجيا الروسى بساترن – ٥ الأمريكى ، نجد أن الأول يتميز بأن عدد مراحله أقل فهى مرحلتان ، بينما "ساترن" له ثلاث مراحل ، ورغم أن طول الأخير يبلغ ١٠٨ أمتار ، فإنه لايستطيع رفع أكثر من ٤٥ طناً إلى المدارات البعيدة عن الأرض ، بينما يقل الصاروخ السوفيتى عنه فى الطول إذ لا يتجاوز ٧٠ متراً ، ويستطيع رفع أكثر من ١١٠ طناً ، الأمر الذى يشير إلى أن " انيرجيا " يصلح ليس لرفع أجيال المكوك السوفيتى وحدها ، ولكن أيضاً لرفع ما هو أثقل مثل المحطات المدارية "مير".

ومن ملامح التفوق السوفيتى أيضاً المكوك " بوران " الذى أطلق فى ١٥ نوفمبر ١٩٨٨ بدون رواد ، وكان يشبه المكوك الأمريكى شكلاً ، من حيث كونه كالطائرة له أجنحة ومجموعة ذيل ، وعجلات للهبوط ، ويعلق أيضاً رأسياً بمستودع ضخم للوقود ، ويبلغ طوله ٣٦,٦ متر وارتفاعه ١٧ متراً ، وتبلغ المسافة بين طرفى الجناحين ٢٤,٤ متراً ، أما وزنه فيقل عن مائة طن .

ولعل النكبة التى أصابت الأمريكيين باحتراق " تشالنجر " فى ٢٨ يناير ١٩٨٦ تعتبر خطوة إلى الوراء ، حيث أورثت بحوث الفضاء الأمريكية عقدة الذنب ، وأدت إلى وقفة دامت ٣٢ شهراً ، وخلال حقبة التوقف هذه التى أطلق عليها البعض الحقبة السوداء ، خطت بحوث الفضاء السوفيتية خطوات كبيرة إلى الامام ، وتميزت بالبرامج المكثفة ، وعلى سبيل المثال فإن السوفييت خلال

عام ١٩٨٦ قاموا بـــ ٩١ عملية إطلاق للصواريخ أمام ٥ عمليات أمريكية فقط، واستخدم السوفييت أكثر من ٨٠٠ نوع من الصواريخ ، لها ٢٠ نوعاً مختلفاً من أجهزة الدفع.

ومما ينبغى ذكره أن العلماء الألمان قد كان لهم الســبق فــى تطــوير صواريخ الفضاء ، ففى منتصف العشرينيات بدأوا بتجريب صواريخ بــالوقود السائل التى كانت قادرة على الوصول إلى ارتفاعات ومسافات عاليــة نســبياً ، وفى عام ١٩٤٢ أطلق الألمان صاروخ A-4 حيث اعتبر أول جسم يصل إلــى الفضاء، وفى عام ١٩٤٣ بدأت ألمانيا بانتاج صواريخ V-2 بعيدة المدى (٣٠٠ كيلومتراً) وتحمل رأساً حربياً وزنه ١٠٠٠ كيلوجراماً وقد سببت هذه الصواريخ أضراراً وخسائر هائلة فى الأرواح خلال الحرب العالمية الثانية .

وعندما اقتربت الحرب العالمية الثانية من الانتهــاء ، تســابق الجــيش الأمريكى والسوفيتى على أسر علماء ومهندسين فى برنامج الصواريخ الألمانية، وأخذت الولايات المتحدة عدداً كبيراً من علماء الصواريخ الألمان حيــث كــان منهم أعضاء بالحزب النازى ومن ضمنهم فون براون مهندس برنامج الفضــاء الأمريكى .

جيفارا

يعد ارنستو جيفارا (١٩٢٨ – ١٩٦٧) شخصية ثورية فذة فى نظر الكثيرين ، ولد من عائلة برجوازية أرجنتينية بمدينة بيونس ايريس ، وحين بلغ العامين اكتشف أهله أصابته بالربو .

درس الطب فى جامعة بيونس ايريس وتخرج عام ١٩٥٣ ، ولإصابته بالربو لم يلتحق بالتجنيد العسكرى ، قام بجولة حول أمريكا الجنوبية مع أحد أصدقائه على متن دراجة نارية وهو فى السنة الأخيرة من الطب وأثرت تلك الرحلة فى شخصيته وإحساسه بوحدة أمريكا الجنوبية وبالظلم الكبير من الدول الامبريالية للمزارع البسيط .

وفى عام ١٩٥٥ قابل " هيلدا " المناضلة اليسارية من " بيرو " فى منفاها فى جواتيمالا ، فتزوجها وأنجب منها طفلته الأولى ، وهى التى جعلته يقرأ للمرة الأولى بعض الكلاسيكيات الماركسية.

سافر إلى المكسيك والتقى هناك براؤول كاسترو المنفى مع أصدقائه الذين كانوا يجهزون للثورة وينتظرون خروج فيدل كاسترو من سجنه فى كوبا ، وما أن خرج فيدل كاسترو من سجنه حتى قرر جيفارا الانضمام للثورة الكوبية .

فى ١٩٥٩ اكتسح رجال حرب العصابات برئاسة فيدل كاسترو هافانا واسقطوا الديكتاتورية العسكرية لفولجنسيو باتيستا برغم تسليح حكومة الولايات المتحدة وتمويلها لباتيستا ولعملاء الـ CIA داخل جيش عصابات كاسترو .

دخل الثوار كوبا على ظهر زورق ولم يكن معهم سوى ثمانين رجلاً لم يبق منهم سوى ١٠ رجال فقط بينهم كاسترو وأخوه راؤول وجيفارا ولكن هذا الهجوم الفاشل اكسبهم مؤيدين كثيرين خاصة فى المناطق الريفية ، وظلت المجموعة تمارس حرب العصابات لمدة سنتين وخسروا نصف عددهم فى معركة مع الجيش .

وبواسطة خطة جيفارا للنزول من جبال سييرا باتجاه العاصمة الكوبية تمكن الثوار من دخول العاصمة هافانا فى يناير ١٩٥٩ على رأس ثلاثمائة مقاتل إلى هافانا ليبدأ عهد جديد من حياة كوبا وانتصرت الثورة بعد أن أطاحت بحكم الديكتاتور " باتيستا " .

وفى تلك الأثناء اكتسب جيفارا لقب " تشى " الارجنتينى ، وتزوج من زوجته الثانية " إليدا مارش " وأنجب منها أربعة أبناء بعد أن طلق زوجته الأولى .

بعد ذلك صدر قانون يعطى الجنسية والمواطنة الكاملة لكل من حارب مع الثوار برتبة عقيد ولم توجد هذه المواصفات سوى فى جيفارا الذى عين مديراً للمصرف المركزى ، وأشرف على تصفية خصوم الثورة وبناء الدولة فى فترة لم تعلن فيها الثورة عن وجهها الشيوعى ، وما أن أمسكت الثورة بزمام الأمور وبخاصة الجيش حتى قامت الحكومة الشيوعية التى كان فيها جيفارا وزيراً للصناعة وممثلاً لكوبا فى الخارج ومتحدثاً باسمها فى الأمم المتحدة ، بالإعلان عن نفسها .

تولى بعد استقرار الحكومة الثورية الجديدة – وعلى رأسها فيدل كاسترو– على التوالى واحياناً فى نفس الوقت مناصب سفير منتدب إلى الهيئات الدولية الكبرى ، منظم الميليشيا ، رئيس البنك المركزى ، مسئول التخطيط ، وزير الصناعة ، ومن مواقعه تلك قام " تشى " بالتصدى بكل قوة لتدخلات الولايات المتحدة ، فقرر تأميم جميع مصالح الدولة بالاتفاق مع كاسترو ، فشددت الولايات المتحدة الحصار على كوبا ، وهو ما جعل كوبا تتجه تدريجياً نحو الاتحاد السوفيتى وقتها ، كما أعلن عن مساندته حركات التحرير فى كل من تشيلى وفيتنام والجزائر .

لكن عمره السياسى لم يطل ، حيث لم تعجبه الحياة السياسية فاختفى ، ونشرت مقالات كثيرة عن مقتله لعل رده يحدد مكانه لكنه لم يرد ، ونشرت وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية شائعات تدعى فيها اختفاء ارنستو تشى جيفارا فى ظروف غامضة ومقتله على يد زميله فى النضال القائد الكوبى فيدل كاسترو ، مما اضطر الزعيم الكوبى للكشف عن الغموض الذى اكتنف اختفائه من الجزيرة للشعب الكوبى فأدلى بخطابه الشهير الذى ورد به ما يلى :

" بيدى هنا رسالة ، كتبت بخط اليد من الرفيق ارنستو جيفارا يقول فيها : أشعر أنى أتممت ما لدى من واجبات تربطنى بالثورة الكوبية على أرضها ، لهذا استودعك واستودع الرفاق واستودع شعبك الذى أصبح شعبى وأتقدم رسمياً باستقالتى من قيادة الحزب ، ومن منصبى كوزير ، ومن رتبة القائد ، ومن جنسيتى الكوبية ، لم يعد يربطنى شئ قانونى بكوبا " .

ذهب " تشى " لافريقيا مسانداً للثورات التحررية ولكن فشلت التجربة الأفريقية لأسباب عديدة منها عدم تعاون رؤوس الثورة الأفارقة واختلاف المناخ واللغة ، وانتهى الأمر بالـ " تشى " فى أحد المستشفيات فى براغ للنقاهة وزاره كاسترو بنفسه ليرجوه العودة .

وبقى فى زائير (الكونغو الديمقراطية) بجانب قائد ثورة الكونغو باتريس لومومبا يحارب ، لكن فجاة ظهر فى بوليفيا قائداً لثورة جديدة .

لم يكن مشروع " تشى " خلق حركة مسلحة بوليفية ، بل التحضير لترتيب صفوف الحركات التحررية فى أمريكا اللاتينية لمجابهة النزعة الأمريكية المستغلة لثروات دول القارة ، ومنذ بداية عام ١٩٦٧ وجد جيفارا نفسه مع مقاتليه وحيداً يواجه وحدات الجيش المدججة بالسلاح بقيادة CIA فى برارى بوليفيا الاستوائية ، وأراد جيفارا أن يمضى بعض الوقت فى حشد القوى والعمل على تجنيد الفلاحين والهنود الحمر من حوله ، ولكنه أجبر على خوض المعارك مبكراً .

القى القبض على اثنين من مراسلى الثوار ، فاعترفوا تحت قسوة التعذيب أن جيفارا هو قائد الثوار ، فانتشر آلاف الجنود لتمشيط المناطق الوعرة بحثاً عن أربعين رجلاً ضعيفاً وجائعاً ، قسم جيفارا قواته لتسريع تقدمها ثم أمضوا بعد ذلك أربعة أشهر متفرقين عن بعضهم فى الأدغال ، إلى جانب ظروف الضعف والعزلة هذه تعرض جيفارا إلى أزمات ربو حادة ، مما شكل عامل ساهم فى تسهيل مهمة البحث عنه ومطاردته .

فى يوم ٨ أكتوبر ١٩٦٧ وفى أحد وديان بوليفيا الضيقة هاجمت قوات الجيش البوليفى المكونة من ١٥٠٠ فرد مجموعة جيفارا المكونة من ١٦ فرداً وقد ظل جيفارا ورفاقه يقاتلون ست ساعات كاملة وهو شئ نادر الحدوث فى حرب العصابات فى منطقة صخرية وعرة ، تجعل حتى الاتصال بينهم شبه مستحيل وقد استمر " تشى " فى القتال حتى بعد موت جميع أفراد المجموعة رغم أصابته بجروح فى ساقه إلى أن دمرت بندقيته (م-٢) وضاع مخزن مسدسه وهو ما يفسر وقوعه فى الأسر حياً ، نقل " تشى " إلى قرية "لاهيجيراس" وبقى حياً لمدة ٢٤ ساعة ، ورفض أن يتبادل كلمة واحدة مع من

أسروه وفى مدرسة القرية نفذ ضابط الصف " ماريو تيران " تعليمات ضابطيه "ميجيل ايوروا" و " اندريس سيلنيش " باطلاق النار على " تشى ".

وقد رفضت السلطات البوليفية تسليم جثته لاخيه أو حتى تعريف أحد بمكانه أو بمقبرته حتى لا تكون مزاراً للثوار من كل أنحاء العالم.

مارتن لوثر كينج

اليوم ٢٨ أغسطس ١٩٦٣م ، ومدينة واشنطن تمر بفترة قيظ لافح ، وقد خرج مائتا ألف أمريكى ما بين سود وبيض ، ورؤساء نقابات ورجال سياسة ... وأمام تمثال لنكولن وقف قس أسود شاب وهو يقول " أننى أحلم باليوم الذى يستطيع فيه أطفالى الأربعة ، أن يعيشوا فى أمة لا تحكم عليهم بلون بشرتهم ، ولكن بقدراتهم الشخصية " ، كان هذا الشاب مارتن لوثر كينج (١٩٢٩م – ١٩٦٨م).

كان اثنان وعشرون مليوناً من السود ، يقفون خلف كينج عندما بدأ حربه فى سبيل الحقوق المدنية ، وقد رفعت اللافتات تنادى بالمساواة فى العمل، وإزالة التفرقة العنصرية فى مجال الإسكان والخدمات العامة ، وقبول الأطفال السود فى المدارس العامة ، وحرية مزاولة حق الانتخاب فى ولايات الجنوب ، وكان مارتن لوثر كينج يتولى زعامة " الثورة " التى كانت لا تعتمد على القوة البدنية ولكن على العصيان المدنى والتعاليم السلمية التى وضعها غاندى ، وكانت أولى نتائج هذه المسيرة إلى واشنطن أن مجلس الشيوخ أقر أهم قانون فى مجال التشريعات العنصرية منذ قانون تحرير السود ، وكان ذلك هو قانون الحقوق المدنية الذى صدر فى ٦ أغسطس ١٩٦٥م الذى قضى بإنشاء سجلات

اتحادية تضمن حقوق الانتخاب للسود الذين لم يقيدوا فيها ، وكان القانون تأكيداً لوجودهم السياسى بالولايات المتحدة.

وكان أول عمل ضد التفرقة العنصرية قد تم فى ديسمبر ١٩٥٥م فى الجنوب وهو مقاطعة شركة أتوبيسات مونتجمرى لمدة ٣٨١ يوماً حيث كانت المقاعد الخلفية مخصصة للسود ، وكان السود يجبرون أيضاً على ترك مقاعدهم للبيض ، وحققت المقاطعة نصراً باهراً .

وبعد تولى " كنيدى " منصب الرئاسة ضاعف كينج جهوده المتواصلة لإقحام الحكومة الاتحادية فى الأزمة العنصرية المتفاقمة إلا أن كيندى استطاع ببراعة السياسى أن يتفادى هجمات كينج الذى كان لا يتوقف عن وصف الحكومة بالعجز عن حسم الأمور الحيوية .

ومن هنا قرر كينج فى أواخر صيف عام ١٩٦٢م بدء سلسلة من المظاهرات فى برمنجهام ، وعمل على تعبئة الشعور الاجتماعى بمظاهرة رمزية فى الطريق العام ، وفى اليوم التالى وقعت أول معركة سافرة بين الزنوج المتظاهرين ورجال الشرطة البيض الذين اقتحموا صفوف المتظاهرين بالعصى والكلاب البوليسية ، ثم صدر أمر قضائى بمنع كل أنواع الاحتجاج والمسيرات الجماعية وأعمال المقاطعة والاعتصام ، فقرر كينج لأول مرة فى حياته أن يتحدى علانية حكماً صادراً من المحكمة ، وسار خلفه نحو ألف من المتظاهرين الذين كانوا يصيحون " حلت الحرية ببرمنجهام " ، وألقى القبض على كينج وأودعوه سجناً انفراديا ، وحرر خطاباً أصبح فيما بعد من المراجع المهمة لحركة الحقوق المدنية ، وقد أوضح فيه فلسفته التى تقوم على النضال فى إطار من عدم العنف.

وفى عام ١٩٦٣م قام زنوج أمريكا بثورة لم يسبق لها مثيل فى قوتها

اشترك فيها ٢٥٠ ألف شخص ، منهم نحو ٦٠ ألف من البيض متجهة صوب نصب لنكولن التذكارى ، فكانت أكبر مظاهرة فى تاريخ الحقوق المدنية ، وهناك ألقى كينج أروع خطبه " أنا أحلم " .

وفى العام نفسه أطلقت مجلة " تايم " على كينج لقب " رجل العام " فكان أول زنجى يمنح هذا اللقب ، ثم حصل فى عام ١٩٦٤م على جائزة نوبل للسلام لدعوته إلى اللاعنف ، فكان بذلك أصغر رجل فى التاريخ يفوز بهذه الجائزة – ٣٥ عاماً – ولم يتوقف عن مناقشة قضايا الفقر للزنوج وعمل على الدعوة إلى إعادة توزيع الدخول بشكل عادل .

وفى بداية عام ١٩٦٨م كان كينج يعد لمسيرة سلمية جديدة إلى واشنطن، ولكنه أوقفها ليساند إضراباً قام به عمال النظافة فى مدينة ممفيس ولكن الإضراب تحول إلى العنف فعاد إلى الفندق الذى كان ينزل فيه وأعلن أنه سيعود لقيادة مسيرة سلمية تماماً .

ولكن فجأة أعلن النبأ الآتى " ممفيس (ولاية تنيسى) ٤ أبريل ١٩٦٨م، قتل القس مارتن لوثر كينج ، برصاصة أصابته فى وجهه ، بينما كان يستريح فى شرفة حجرته بالفندق ، وقد شوهد شاب أبيض يهرب من العمارة التى أطلقت منها البندقية "

وعلى رخام قبره حفرت بضع كلمات " الحرية أخيراً ، الحرية أخيراً ، شكراً يا ربى ، إننى حر أخيراً !"

السير الفريد هتشكوك

السير الفريد هتشكوك (١٨٩٩ – ١٩٨٠م) مخرج وسينمائى إنجليزى، يعتبر من أهم المخرجين فى تاريخ السينما حيث مزج الرعب بالتشويق بالكوميديا .

فى عام ١٩١٩ وعندما أعلنت شركة السينما الأمريكية " لاسكى " التى يمتلكها أحد عمالقة صناعة السينما فى ذلك الحين هارولد لاسكى عن افتتاح ستوديو عام ١٩٢٠ فى لندن ، تقدم هتشكوك للعمل هناك وبدأ عمله فى مجال السينما كمصمم عناوين أى ما يمكن وصفه اليوم بكاتب حوار وتعليق ، حيث تلعب العناوين فى السينما الصامتة دوراً مشابهاً لدور الحوار ولكن بشكل سردى وتتدخل أحياناً لوصف شئ ما وخلق عنصر تشويق ، وربما يفسر لنا هذا تمكن هتشكوك من خاصية الاقتصاد فى العمل ووصوله لهدفه من أقصر الطرق وبشتى الوسائل المتاحة وخاصة استغلال دراميات المكان لأقصى درجة .

أيضاً فى هذه الشركة واتته الفرصة ليخرج أول أفلامه بعد أن اعتذر مخرج فيلم " لابد وأن تخبر زوجتك دائماً بكل شئ " عن إتمام العمل لمرضه فقام هتشكوك بإتمام الفيلم ورغم أن اسمه لم يذكر كمخرج على عناوين الفيلم أو

التيترات إلا أن مدير الشركة أعجب بعمله وأسند إليه إخراج أول أفلامه "رقم١٣" الذى لم يعرض بسبب إفلاس الشركة .

إلا أن هذين العملين أكسباه ثقة بنفسه فتقدم للعمل فى شركة ألمانية بريطانية مشتركة ليخرج فيلمه الأول رسمياً وهو " حديقة اللذة " الذى صور فى ألمانيا .

كان أول فيلم يشتهر به هو " النزيل " وفيه قدم طابعه المميز الذى يصور البرئ الذى يتهم بالقتل ويحاول الفرار وإثبات براءته ، وفى الثلاثينيات أنجز فى بريطانيا مجموعة أفلام هامة من بينها "تخريب"، " والرجل الذى يعرف أكثر من اللازم " و " العميل السرى " ، وكان آخر أفلامه فى بريطانيا هما "حانة جامايكا" عام ١٩٣٩ و " المراسل الأجنبى " عام ١٩٣٩ .

فى عام ١٩٤٠ انتقل إلى هوليوود ليقدم أول أفلامه هناك " ربيكا " من بطولة سير لورانس اوليفييه وجوان فونتين . تتابعت بعد ذلك أعمال هتشكوك وتنوعت ما بين الدراما النفسية كما فى " شك " و " إنى اعترف " وبين أفلام الجاسوسية مثل " الستار الممزق " و " المخرب " و " سيئة السمعة " وأفلام الجريمة مثل " النافذة الخلفية " و " امسك حرامى " و " اتصل بالرقم لتحدث جريمة القتل " والأفلام الكوميدية مثل " السيد والسيدة سميث " و " مشكلة هارى".

كما قدم فيلم " القارب " التى حكى قصة كاملة فى مكان لا يتغير هو قارب ، وفيلم " الحبل " أول فيلم لا يعتمد على التقطيع بل هو لقطة واحدة طويلة، إلا أن أعماله الثلاثة التى حفرت اسمه للأبد هى " النافذة الخلفية " الذى علم المشاهدين كيف يتلصصون على الجيران ثم عاقبهم على ذلك ، وفيلم "الدوار" عن خوف المرتفعات ، وفيلم " نفوس معقدة " الذى خرق فيه قاعدة أن

تظل بطلة الفيلم حية حتى مشهد النهاية حيث توفيت البطلة فـــى الثلـــث الأول للفيلم، ومن أشهر أفلامه فيلم " الطيور " الذى وضع فيه القواعد الأساسية لأفلام الرعب ، والذى قلد فيما بعد فى العديد من الأفلام .

اشتهر هتشكوك كذلك ببرنامجه التليفزيونى القصير (الفريد هتشـــكوك يقدم) كما أنه كان ناشراً ذكياً ابتدع القصص القصيرة المخيفة التى راقت لـــه وأصدرها فى سلسلة اسمها (قصص لم يسمحوا لى بتقديمها على التليفزيون).

لم يحصل هتشكوك طوال تاريخه الطويل أى عبر أكثر مـــن خمســـين عاماً كمخرج على جائزة أوسكار أفضل إخراج . وإن كان قد حصل على جائزة تكريم خاصة عن مجموع أعماله من الأكاديمية الأمريكية .

الجوهرة السوداء ... بيليه

ولد أديسون ارانتيس دوناسيمنتو (وهذا اسمه الحقيقى) فى ٢٣ أكتوبر ١٩٤٠م فى قرية تسمى (القلوب الثلاثة) فى مقاطعة للمناجم بقلب البرازيل ، وكانت أسرته تعتمد فى عيشها على مبلغ ضئيل (٤,٥ دولار) يتقاضاه والده فى كل مرة يلعب فيها كرة القدم مع أحد النوادى المحلية ، وبعد إصابة والده فى ساقه اعتزل اللعبة وأصبحت الأسرة شديدة الفقر لدرجة العجز عن معالجة عائلها ، وبعد شفاء والده انتقل إلى مدينة أخرى وغرس فى ابنه حب كرة القدم، وبدأ زملاؤه فى اللعب يطلقون عليه اسم " بيليه " ، وشغلته كرة القدم – وكان فى العاشرة من عمره – عن دراسته ، لذلك كف عن الذهاب إلى المدرسة ، وفى عام ١٩٥٦م وقع عقداً للعب مع فريق محترف فى سانتوس مقابل راتب صغير بالإضافة إلى الأكل والمسكن ، وفى عام ١٩٥٩م وحده سجل ١٢٧ هدفاً، وفى حياته سجل ١٢٢٧ هدفاً فى ١٢٥٥ مباراة وجعل من فريق سانتوس والبرازيل قوة بارزة فى عالم كرة القدم.

وقاد فريق البرازيل القومى إلى الفوز بكأس العالم فى كرة القدم ثلاث مرات مما حقق له امتلاك الكأس إلى الأبد وهو نصر لم يحققه أى فريق من قبل ... وكانت أول مرة عام ١٩٥٨م حيث لعب بيليه لأول مرة فى كأس العالم

وعمره ١٧ عاماً ، ثم عام ١٩٦٢ م ، ثم ١٩٧٠م ... وأعلنت البرازيل رسمياً أنها تعتبر بيليه " ثروة قومية " وشيئاً ثميناً لا يقدر بثمن ولا يمكن تصديره ، ولكن كيسنجر وزير خارجية الولايات المتحدة توسط لدى الحكومة البرازيلية للموافقة على انتقال بيليه إلى الولايات المتحدة مطمئناً أن الصفقة سوف تفيد العلاقات الدولية ، واستقر بيليه هناك حيث لعب لنادى "نيويورك كوزموس" الذى قال مديره : لقد انتقلت لعبة كرة القدم فى الولايات المتحدة من العصر الحجرى إلى عصر النفاثات وغزو الفضاء بقفزة واحدة بوصول بيليه.

ومن طريف ما يذكر من إعجاب كل جماهير العالم ببيليه أنه فى أثناء الحرب فى نيجيريا للقضاء على الحركة الانفصالية فى " بيافرا " عام ١٩٦٧م توقف القتال لمدة يومين لأن بيليه كان يلعب مباراة استعراضية فى العاصمة النيجيرية لاجوس !! .

الليزر ...
الحل الذى يبحث عن مشكلة

حين ابلغ العالم الفيزيائى الأمريكى ثيودور مايمان رؤساءه لأول مرة أنه يريد اختراع الليزر ، رفض طلبه لأن تقارير التجارب التى أجريت قبل ذلك فى العديد من المختبرات كانت غير مشجعة ، ولكن بعد محاولات عديدة استجابوا لطلبه ، ومنح ٥٠ ألف دولار وفترة تسعة أشهر فقط لكى ينجز ما وعد به ... وفى ٧ يوليو ١٩٦٠ عقد ثيودور مايمان مؤتمراً صحفياً أعلن فيه أنه استطاع اختراع أول جهاز ليزر ليقدم إنجازاً مذهلاً فى مجال العلم ، ووصف اختراعه فى كلمات واثقة بأنه " الحل الذى يبحث عن مشكلة " ... وقد اعتبرت مجلة العلوم البريطانية التى نشر بها مايمان بحثه النهائى عن الليزر أهم بحث نشر بها على مدى مائة عام.

وكان العالم البرت إينشتاين قد تنبأ عام ١٩١٧ بوجود الليزر ، حيث وضع الأساس النظرى لعملية الإنبعاث المحفز ، وقد جاءت كلمة الليزر Laser من الأحرف الأولى لفكرة عمل الليزر وهى " تضخيم الضوء بواسطة الإنبعاث المحفز للأشعة " ، واستمرت المحاولات حتى عام ١٩٦٠ حين تم اختراع أول جهاز ليزر يقوم بتجميع الموجات العريضة ثم يقذفها فى شعاع كثيف من الضوء، وبعدها بدأت الشركات فى إنتاج أنواع عديدة من مولدات أشعة الليزر

لأغراض متعددة وللاستعمالات الصناعية ، والطبية ، والفضائية ، وغيرها من المجالات ، وتعتمد الطاقة المتولدة من هذه الأجهزة على نوع المادة المستعملة فى هذا التوليد والغرض من الاستعمال .

والليزر بذلك حزمة من الضوء المكثف يختلف عن الضوء العادى – الذى ينتشر فى كل الاتجاهات وبأطوال موجية تختلف فيما بينها – فى أن له طول موجى واحد ، يحدد لون الضوء الناتج وطاقته ، كما أنه يتكون من أشعة متماسكة مما يجعل شدة الضوء كبيرة ، ولليزر إتجاه واحد يجعله يسير فى مسار مستقيم ، وقد طورت الأبحاث قوة الليزر الذى كان فى بدايته عبارة عن شعاع ضعيف قبل أن يتطور العمل به ويصل إلى مستوى إضاءة يوازى عدة شموس ويفوق فى سرعته سرعة الضوء .

يستخدم الليزر حالياً فى مجالات متعددة كاستعماله فى الأقراص المدمجة وفى صناعة الإلكترونيات وقياس المسافات بدقة – خاصة أبعاد الأجسام الفضائية – وفى الاتصالات ، كما تستخدم أشعة الليزر فى معالجة بعض أمراض العيون وجراحات المخ والقلب والأوعية الدموية والجراحة العامة، ويستخدم أيضاً فى مختلف أنواع الصناعات الدقيقة والثقيلة .

حرب فيتنام ... النصر المستحيل

لقد كانت حرب فيتنام أطول حرب عرفها القرن العشرون ، وقد سجل الفيتناميون ملحمة تاريخية لا تنسى فى الصراع ضد الاحتلال ومحاولات التقسيم، واستنفذت الولايات المتحدة قوتها العسكرية فى فيتنام ، فلم تكن الحرب مجرد هزيمة عسكرية للسمعة الأمريكية العسكرية والسياسية فحسب ، وإنما كانت ضربة قاسية لقدرة الولايات المتحدة.

تعود أسباب الصراع فى فيتنام إلى الحرب التحررية التى قادها الفيتناميون ضد المستعمر الفرنسى والتى استمرت ثمانى سنوات (١٩٤٦ إلى ١٩٥٤) ، وكانت فيتنام قد تعرضت لإحتلال يابانى نهاية الحرب العالمية الثانية – قبيل هزيمة اليابان – فى أغسطس ١٩٤٥ وانتهز الثوار الفيتناميون فرصة هزيمة اليابان فاحتلوا هانوى عاصمة البلاد مرغمين الإمبراطور الفيتنامى " باو داى " على التنحى عن الحكم ، لكن فرنسا رغم جراح الحرب المنهكة ، بادرت باستعادة مستعمرتها فيتنام نهاية ١٩٤٥ وبداية ١٩٤٦ ، مجهضة أحلام الثوار فى حكم بلادهم .

وعندها أعلن الفيتناميون حرباً ضروساً على الفرنسيين اشتعلت مع نهاية ١٩٤٦ ، ثم انتهت بعد معركة " ديان بيان فو " الرهيبة يوم ٨ مايو ١٩٥٤،

وهى الهزيمة التى أثقلت كاهل فرنسا ... وفى يوليو ١٩٥٤ تم التوقيع على اتفاق جنيف الذى ينهى الحرب بين فرنسا وفيتنام بحضور وفدى فيتنام ووفود فرنسا وبريطانيا والاتحاد السوفيتى والصين الشعبية والولايات المتحدة ولاوس وكمبوديا ... وكان من نتائج الاتفاق تقسيم فيتنام إلى شطرين يفصل بينهما خط عرض ١٧ ، ورغم حضورهما فى جنيف فإن الولايات المتحدة وحكومة سايجون الموالية لها لم توقعا على الاتفاق ، وفور رحيل فرنسا من فيتنام بدأت الولايات المتحدة فى مساعدة حكومة سايجون عسكرياً .

وفى ٢٣ أكتوبر ١٩٥٥ ظهرت أول حكومة فى فيتنام الجنوبية "سايجون" منتخبة بقيادة " نغو دينه ديم " ، وكان أول قرار اتخذته هو الامتناع عن أى استفتاء من شأنه أن يؤدى إلى اتحاد الشطرين الفيتناميين ، مبررة ذلك بعدم حرية السكان فى الجزء الشمالى .

وفى فبراير ١٩٥٩ أسس الثوار الجنوبيون " فييت كونغ " أول منظمة فى دلتا ميكونغ ، وفى ١٠ ديسمبر ١٩٦٠ تم تأسيس جبهة التحرير الوطنى ، وهى الإطار التنظيمى السياسى والعسكرى الذى سيتولى مهمة الحرب ضد أمريكا وحكومة سايجون ، فما كان من الرئيس الجنوبى ديم إلا أن أعلن قانون الطوارئ ، وقد تأجج الصراع وبلغ مداه حين أعلن الحزب الشيوعى الفيتنامى الحاكم فى الشمال مساندة الثوار الجنوبيين وإمدادهم بالسلاح.

أعلنت الولايات المتحدة وقوفها التام خلف حكومة سايجون ، بل أن الرئيس الأمريكى كنيدى وقع معاهدة صداقة وتعاون اقتصادى بين بلاده وفيتنام الجنوبية فى أبريل ١٩٦١ ، وفى ديسمبر من نفس السنة أعلن كنيدى عزمه مساعدة حكومة الرئيس ديم اقتصادياً وعسكرياً ، فوصلت طلائع الجيش الأمريكى إلى سايجون وكانت فى البداية ٤٠٠ جندى عهد إليها بتشغيل المروحيات العسكرية ، وفى السنة التالية بلغ عدد الجنود الأمريكيين فى فيتنام

الجنوبية ١١ ألف جندى ، كما أسست قيادة أمريكية فى سايجون منذ يناير ١٩٦٢.

قام الأمريكيون وحلفاؤهم الجنوبيون بقطع جبهة التحرير الوطنى عن قواعدها عبر إقامة بعض القرى للمزارعين الموالين لحكومة الرئيس ديم ، ولم تنته سنة ١٩٦٣ حتى بلغ عدد تلك القرى سبعة آلاف تضم ثمانية ملايين شخص، غير أن هذه الدروع البشرية أو الحواجز السكانية لم تمنع ثوار جبهة التحرير من السيطرة على ٥٠% من تراب فيتنام الجنوبية .

لم تكن سياسة الرئيس ديم قادرة على تنظيم البيت الداخلى فى الجنوب الفيتنامى ، فقد عارضه السياسيون ذوو النزعة الليبرالية لديكتاتوريته ، كما عارضه البوذيون لميوله الكاثوليكية ، وقد أطيح به فى أول نوفمبر ١٩٦٣ فى انقلاب عسكرى وتمت تصفيته جسدياً فى ظروف غامضة ، ويرى العديد من الباحثين أن الولايات المتحدة لم تكن بعيدة عما جرى له ولنظامه ... وخلال الـ ١٨ شهراً التالية للإطاحة بالرئيس ديم عرفت سايجون عشر حكومات عسكرية متعاقبة لم تستطع أى منها ضبط النظام وخاصة العسكرى .

عرفت سايجون فى صيف ١٩٦٤ مزيداً من الانشقاقات بين العسكريين الحاكمين ، وكذلك بين الطائفة البوذية المستاءة من التحكم الكاثوليكى فى الحكم، هذا فضلاً عن التقدم العسكرى الملحوظ لجبهة التحرير الوطنى .

وانطلاقاً من هذه العناصر وصل الاقتناع الأمريكى إلى أن تدخلاً عسكرياً شاملاً هو المخرج لهم من هذه الحالة .

وجدت أمريكا الفرصة سانحة حين هوجمت بعض قاذفاتها البحرية من طرف قوات جبهة التحرير الوطنى فى خليج تونكين ، فما كان من الرئيس الأمريكى جونسون إلا أن اصدر الأوامر إلى الطيران العسكرى الأمريكى بقصف المواقع الفيتنامية الشمالية كرد فعل لما أصاب الأمريكان .

ومنذ فبراير ١٩٦٥ توالى القصف الأمريكى لفيتنام الشمالية ، وفى ٦ مارس التالى تم أول إنزال للبحرية الأمريكية فى جنوب دانانغ ، وظل الوجود العسكرى الأمريكى يزداد فى فيتنام ليبلغ فى نهاية ١٩٦٥ ما يناهز ٢٠٠ ألف جندى ، ثم وصل فى صيف ١٩٦٨ إلى ٥٥٠ ألفاً ، وظلت أمريكا تضغط على هانوى من أجل ترك دعم الثوار الجنوبيين ، غير أن الأخيرة كانت ترفض أى تفاوض مع الولايات المتحدة ما دامت مستمرة فى قصفها المتواصل .

لم تترك أمريكا أى وسيلة عسكرية للضغط على هانوى إلا استعملتها بدءاً بالتجميع القسرى للسكان ومروراً بتصفية الثوار الشيوعيين الموجودين فى الأرياف الجنوبية واستعمال طائرات بى- ٥٢ لتحطيم الغطاء النباتى ، وانتهاء بتكثيف القصف للمدن والمواقع فى الشمال الفيتنامى خاصة تلك الواقعة بين خطى العرض ١٧ و ٢٠ ومع ذلك لم يؤثر الرعب الأمريكى والآلة الحربية المتطورة فى معنويات الفيتناميين ولا فى مقاومتهم بل تفرقوا فى الأرياف ومراكز الإنتاج الزراعى وازدادت فيهم معنويات المقاومة . ولم تستطع أمريكا - رغم محاولاتها المستمرة - أن تقطع طريق " هو شى منه " الذى تمر منه الإمدادات نحو ثوار الجنوب .

فى أكتوبر ١٩٦٦ أعلن ممثلو أمريكا وحلفاؤهم المشاركون بجنودهم فى الحرب كاستراليا ونيوزيلاند وتايلاند وكوريا الجنوبية والفلبين فى مانيلا استعدادهم للانسحاب من فيتنام بعد ستة أشهر إذا ما خرجت فيتنام الشمالية من الحرب ، وهو إعلان رفضه الشماليون بصرامة ، ولم تثمر دعوة الرئيس الأمريكى جونسون للزعيم السوفيتى كوسيجين فى الضغط على هانوى لتنتهى الحرب حين التقيا فى يونيو ١٩٦٧ بل ظلت نيران الحرب مشتعلة ، فما كان من الرئيس جونسون إلا أن أعلن عزمه زيادة الجنود الأمريكيين فى فيتنام

ليصل عددهم عام ١٩٦٨ إلى ٥٢٥ ألفاً ، كما أصبح القصف الأمريكى للمواقع الشمالية قاب قوسين أو أدنى من الحدود الصينية .

ولم تنفع سياسة العصا والجزرة مع الفيتناميين ، حيث لم تردعهم هجمات الولايات المتحدة المتكررة وقصفها المتواصل كما لم تغرهم دعوات الرئيس جونسون للتفاوض ، فظلت الحرب مشتعلة وعدد الضحايا فى ازدياد .

ظلت المعارك خلال الحرب الفيتنامية تدور فى الجبال ، وهى استراتيجية اتبعها الفيتناميون المتكيفون أصلاً مع الأوضاع الطبيعية والمناخية الصعبة ، وفى ١٩٦٨ أطلق الجنرال الفيتنامى ما عرف بهجوم " تيت " (وهو اسم السنة القمرية الفيتنامية التى يحتفل بها منتصف فبراير من كل سنة) وهو مجموعة عملياتٍ عسكرية شديدة استهدفت أكثر من مائة هدف ، وقد استطاع الثوار أن يتغلغلوا فى الجنوب حتى بلغوا عاصمة الجنوب سايجون فتعرض الأمريكيون للهجوم .

ومع أن الثوار الفيتناميين فقدوا حوالى ٨٥ ألف شخص فإن التأثير النفسى للمعارك كان بالغ الأثر على الولايات المتحدة .

فى ٣١ مارس ١٩٦٨ أعلن الرئيس جونسون وقف القصف الأمريكى لشمال فيتنام ، كما أعلن فى نفس الوقت تقدمه لولاية رئاسية ثانية ، ولم نصل إلى منتصف مايو من نفس السنة حتى بدأت المفاوضات بين الفيتناميين والأمريكان فى باريس .

لم يصل ريتشارد نيكسون إلى رئاسة الولايات المتحدة عام ١٩٦٩ حتى أعلن أن ٢٥ ألف جندى أميركى سيغادرون فيتنام فى أغسطس ١٩٦٩ ، وأن ٦٥ ألفاً آخرين سيجرى عليهم نفس القرار فى نهاية تلك السنة .

غير أنه لا الانسحاب الأمريكى من فيتنام ولا موت الزعيم الشمالى

هوشى منه يوم ٣ سبتمبر ١٩٦٩ أوقفا الحرب الضارية فمفاوضات باريس عرفت تصلب الفيتناميين الذين طالبوا وبإلحاح بضرورة الانسحاب الأمريكى التام كشرط أساسى لوقف إطلاق النار .

ومع ما تكبدته أمريكا من خسائر بشرية ومادية ، ظهرت فى الشارع الأمريكى دعوة إلى إنهاء الحرب الفيتنامية ، وتمثلت تلك الدعوة فى المظاهرات المكثفة التى عمت المدن الأمريكية وفى الحملات الصحفية ، وازدادت قوة الدعوة المطالبة بإيقاف الحرب عندما نشرت وسائل الإعلام الأمريكية الممارسات البشعة واللاإنسانية التى عامل بها الجيش الأمريكى المواطنين الفيتناميين ، ومن أشهر تلك المظاهر الوحشية إبادة الملازم الأمريكى وليام كالى للمدنيين العزل فى قرية " ماى لاى " عام ١٩٦٨ ، وقد تمت محاكمته عسكرياً عام ١٩٧١.

ونشرت الصحافة الأمريكية وعلى رأسها جريدة نيويورك تايمز تقارير حول الطريقة البشعة التى تمت بها الحرب الفيتنامية .

أخذت الحرب منحى خطيراً حين قامت فيتنام الشمالية يوم ٣٠ مارس ١٩٧٢ بهجوم كاسح نحو الجنوب داخل منطقة " كانغ ترى " متجاوزة بذلك المنطقة المنزوعة السلاح ، وكان رد الفعل الأمريكى مزيداً من القصف الجوى .

وبينما كانت نيران الحرب تشتعل بدأت المفاوضات السرية بين الطرفين، حيث اجتمع مستشار الرئيس الأمريكى لشئون الأمن القومى يومها هنرى كيسنجر بمندوب فيتنام الشمالية دوك تو ... ومع انتعاش الآمال بالوصول إلى حل نهائى وفى محاولة للضغط على الفيتناميين وكسب انتصارات ميدانية تقوى من موقفه ، أمر الرئيس نيكسون يوم ١٧ ديسمبر ١٩٧٢ بقصف هانوى

وهايبونغ ، فصبت طائرات بى - ٥٢ نيرانها على المدينتين فى قصف لم تعرف الحرب الفيتنامية نظيراً له ، وفقدت أمريكا ١٥ من هذه الطائرات كما فقدت ٩٣ ضابطاً من سلاح الطيران الأمريكى .

وأعلن فى ٢٣ يناير ١٩٧٣ عن التوصل إلى اتفاق وقف إطلاق النار الذى دخل حيز التنفيذ يوم ٢٨ من نفس الشهر ، ويتضمن الاتفاق توقف جميع أنواع العداء ، وانسحاب القوات الأمريكية من جنوب فيتنام خلال الشهرين التاليين للتوقيع ، واطلاق سراح الاسرى من الطرفين خلال ١٥ يوماً من التوقيع، والاعتراف بالمنطقة المنزوعة السلاح بين الشطرين على أنها مؤقتة لا أنها حدود سياسية ، وإنشاء لجنة دولية (مكونة من ممثلين عن كندا والمجر وإندونيسيا وبولونيا) مكلفة بمراقبة تطبيق الاتفاق ، وبقاء ١٤٥ ألف جندى من شمال فيتنام فى الجنوب .

لم ينته مارس ١٩٧٣ حتى تمت مغادرة آخر جندى أميركى من فيتنام ، غير أن فضيحة ووترجيت التى أكرهت الرئيس نيكسون على الاستقالة يوم ٩ أغسطس ١٩٧٤ جعلت امريكا غير قادرة على مساندة حكومة سايجون .

انتهز الشماليون فرصة انشغال واشنطن بووترجيت ومعاداة الرئيس الفيتنامى الجنوبى تيو للشيوعيين الجنوبيين ، فشنوا هجوماً كاسحاً على الجنوب محتلين مدينة فيوك بنه فى يناير ١٩٧٥ ، وتابعوا هجومهم الكاسح الذى توج بدخول سايجون يوم ٣٠ أبريل من نفس السنة .

وقد بلغت خسائر الفيتناميين خلال سنوات الحرب الثمانى مليونى قتيل ، و٣ مليون جريح ، و١٢ مليون لاجئ ، أما الأمريكيون فقد بلغت خسائرهم ٥٧ ألف قتيل ، و ١٥٣ ألف جريح ، و ٥٨٧ أسير .

لغز انتحار همنجواى

يعد ارنست ميلر همنجــواى (١٨٩٩ – ١٩٦١) واحــداً مــن أهــم الروائيين الأمريكيين ، بعد انتهائه من الدراسة الثانوية رفض الالتحاق بالجامعة وحصل على عمل كمراسل صحفى بجريدة " الكانساس سيتى ستار".

عندما دخلت الولايات المتحدة الأمريكية الحرب ســنة ١٩١٧ ، كانــت أمنية ارنست همنجواى الوحيدة أن يذهب إلى الجبهة ليشارك فى الحرب ، ولكن خلال الفحص الطبى تم رفض طلبه للالتحاق بالجيش بسبب مشكلة فى عينيه ، ومع ذلك لم يمنعه الأمر من الالتحاق بكتيبة سيارات الإسعاف .

بعد ثلاثة أسابيع من العمل مع فرق الإسعاف أصيب همنجواى بجروح من جراء شظايا قنبلة بإحدى المدن الإيطالية سنة ١٩١٨ ، فقضى ستة أشهر فى المستشفى قبل أن تستقبله بلدته استقبال الأبطال ، بعد أن عرف الجميع أنه أنقذ صديقاً له أصيب بجروح بليغة خلال إحدى المعارك .

لكن رجوع همنجواى إلى بلدته لم يمكنه من الاستقرار والاندماج مــرة ثانية فى الحياة الاجتماعية بهذه البلدة الصغيرة .

وفى سنة ١٩٢٠ تزوج همنجواى من سيدة تدعى هادلى ريتشاردســون

ثم رحل إلى باريس ، وهناك بدأت مسيرته لكى يصبح كاتباً وروائياً ، فتعرف على مشاهير الأدب والثقافة كجيرترود ستين ، وشروود اندرسون ، وازرا باوند، وسكوت فيتزجيرالد وغيرهم من الأدباء والفنانين الأمريكيين المقيمين بفرنسا ، وقد وجد لديهم كل مساندة وتشجيع وتقدير لكتاباته مما جعل اندرسون وفيتزجيرالد يساعدانه على نشر مجموعته القصصية " فى وقتنا " بالولايات المتحدة الأمريكية سنة ١٩٢٥ ،لكن فى سنة ١٩٢٦ نشر روايته " الشمس تسطع أيضاً " وبرز همنجواى كأحد الروائيين المتميزين بأسلوب رائع جميل .

بعد ذلك استمرت كتبه فى التألق والانتشار ولقيت قصصه القصيرة حفاوة أكثر من رواياته ، وقد كان السبب حسب بعض النقاد تأثر قصصه بتقنية الأسلوب الصحفى المتميز بالوصف المباشر والحوار بأقل ما يمكن من تعليق القاص على الأحداث وتفسيره لها ، وفى سنة ١٩٢٩ ظهرت رواية " وداعاً للسلاح " وهى رواية تظهر أن نسيج الحياة هو فى الحقيقة مزيج من الموت والعنف أكثر مما تمثله تهديدات الحرب فى هذه الحياة .

عكس أدب همنجواى تجاربه الشخصية فى الحربين العالميتين الأولى والثانية والحرب الأهلية الأسبانية ، تميز أسلوبه بالبساطة والجمل القصيرة ، وترك بصمته على الأدب الأمريكى.

تلقى همنجواى جائزة بوليتزر الأمريكية فى الصحافة عام ١٩٥٣ كما حصل على جائزة نوبل فى الأدب فى عام ١٩٥٤ عن رواية "العجوز والبحر" والتى تعتبر من انجح ما عرفته الساحة الأدبية خلال القرن العشرين .

وقد كتب الكثيرون عن الأسلوب المتميز والفريد لارنست همنجواى ، الذى كان بسيطاً وواضح المعالم بعيداً عن التنميق والزخرفة ، حيث كان يحكى قصصه بأسلوب صحفى مباشر ، ويقول همنجواى عن طريقته فى الكتابة

"أعد أغلب أعمالى فى ذهنى ، ولا أبدأ أبداً فى الكتابة قبل أن تكون أفكارى منظمة ، وكثيراً ما أقوم بتلاوة نصوص من الحوار بالطريقة التى ستكون عليه عند كتابتها ، إنى أومن بأن الأذن هى أحسن مراقب وحكم ، ولا أكتب أى جملة على الورق قبل أن أتيقن بأن الطريقة التى تم التعبير عنها ستكون مفهومة وواضحة تمام الوضوح للجميع " ... هذه هى طريقته فى الكتابة ، وهذا هو أسلوبه الفريد الذى اكتسبه من خبرته فى الصحافة ، والذى كان له أكبر الأثر فى الأدب القصصى الأمريكى وأكسبه شهرة عالمية تعدت حدود جميع القارات .

فى آخر حياته انتقل للعيش فى منزل بكوبا ، حيث بدأ يعانى من اضطرابات عقلية دفعته لمحاولة الانتحار فى ربيع عام ١٩٦١ ، وتلقى العلاج بالصدمات الكهربية ، وبعد حوالى ثلاثة أسابيع من إكماله الثانية والستين من العمر وضع حداً لحياته بإطلاق الرصاص على رأسه من بندقيته عام ١٩٦١ فى منزله ، ومما يذكر أن لأسرة همنجواى تاريخاً طويلاً مع الانتحار ، حيث انتحر والده (كلارنس همنجواى) أيضاً ، كذلك أخته غير الشقيقتين أورسولا وليستر، ثم حفيدته مارغاوك همنجواى .

حرب الاستنزاف

لا يكتمل التقديم الصادق لحرب الاستنزاف إلا بمراجعة ما صدر بشأنها من جانب قادة إسرائيل حيث يقول الجنرال عيزرا وايزمان الذى كان قائداً لسلاح الجو الإسرائيلى من ١٩٥٨ – ١٩٦٦ ، ومستشاراً لرئيس أركان الجيش الإسرائيلى فى حرب أكتوبر ، ورئيساً لإسرائيل من ١٩٩٣ – ٢٠٠٠ فى كتابه " على أجنحة النسور " : " انتهت حرب الاستنزاف دون أن تجد إسرائيل حلاً لمشكلة صواريخ الدفاع الجوى المصرية ، لقد فشلنا فى تدمير شبكة الصواريخ، إن حرب الاستنزاف التى سالت فيها دماء كثيرة لأفضل جنودنا مكنت المصريين من اكتساب حريتهم على مدى ثلاث سنوات للتحضير لحرب أكتوبر العظمى عام ١٩٧٣ . وعلى ذلك فإنه قد يكون من الغباء أن نزعم بأننا كسبنا حرب الاستنزاف ، فعلى العكس كان المصريون – رغم خسائرهم – هم الذين حصلوا على أفضل ما فى تلك الحرب ، وفى الحساب الختامى فسوف تذكر حرب الاستنزاف على أنها أول حرب لم تكسبها إسرائيل ، وهى نفس الحقيقة التى مهدت الطريق أمام المصريين لشن حرب يوم كيبور ".

حرب الاستنزاف هو التعبير الذى أطلقه الرئيس المصرى الراحل جمال عبد الناصر على العمليات العسكرية التى دارت بين القوات المصرية والاحتلال

الإسرائيلى شرق قناة السويس ، والتى نقلت مصر خلالها المعركة إلى مواقع العدو بعد أن نجحت فى مرحلة الصمود ومنع العدو من احتلال أراض جديدة ، وكان الهدف الأساسى من تلك الحرب هو إسقاط أكبر عدد ممكن من القتلى والجرحى والآليات فى صفوف العدو وتدريب الجنود المصريين على عمليات قتالية فى شرق القناة تمهيداً للحظة العبور ... وبدأت حرب الاستنزاف فى مارس ١٩٦٩ ، وانتهت بموافقة عبد الناصر على مبادرة وزير الخارجية الأمريكى روجرز لوقف إطلاق النار فى ٨ /٨/ ١٩٧٠ .

كان الهدف المحدد لحرب الاستنزاف هو إعادة الثقة للجنود فى أنفسهم وفى قادتهم والحفاظ على الروح المعنوية للمقاتلين ، وإبقاء مسألة احتلال إسرائيل للأرض العربية فى قائمة المشاغل الدولية ضماناً لاستمرار الاتحاد السوفيتى فى الإمداد بالأسلحة والمعدات الأكثر تطوراً ، ووضع إسرائيل تحت ضغط مستمر بسبب الخسائر التى تتكبدها على جبهة قناة السويس ، ورفع معنويات الشعوب المصرية والعربية وتهيئة الظروف المناسبة للانتقال إلى مرحلة العمليات الهجومية ، والحفاظ على إرادة القتال واكتساب الكفاءة القتالية الميدانية وتطوير الخطط الحربية تبعاً لتغيير العوامل المؤثرة عليها ، والحصول على المعلومات عن العدو والأرض عن طريق الاستطلاع ، وهذه كلها يتعذر تنفيذها بغير القتال الفعلى ، والحصول على المعلومات الخاصة بتدابير الحرب الإلكترونية الإسرائيلية من خلال العمليات الاستطلاعية والأنشطة القتالية لتحسين وتطوير القدرات القتالية ، وإتاحة الفرصة للقوات المصرية للاشتباك الفعلى بالعدو الإسرائيلى لكسر حاجز الجهل به ، وهو ما شكل إحدى الركائز الأساسية لنجاح حرب أكتوبر ١٩٧٣ فيما بعد .

كان لابد أن تصمم القاهرة على استئناف القتال فى أقرب وقت ممكن لأن إسرائيل فى غضون ذلك كانت تنسج نسيجها الخاص ، فقد بدأت فى تشييد

خط بارليف وهو عبارة عن سلسلة من الدفاعات والمواقع الحصينة على امتداد قناة السويس ، وعلى الرغم من أنه فى جوهره كان سلسلة إجراءات دفاعية إلا أن أحداث خريف ذلك العام برهنت على أنه محاولة إسرائيلية لتثبيت الحدود عنده وفرض الوضع القائم ربما إلى الأبد ، ونظر عبد الناصر إلى الخط على أنه تأكيد لاعتقاده بأنه لا أمل فى الحل السياسى ما لم يدرك العدو أن مصر بمقدورها مواجهته ، وإجباره على الانسحاب من خلال القتال ، ومن هنا جاء قرار إحياء الخطط القتالية ، وفى ٨ مارس ١٩٦٩ فتحت القوات المصرية نيران مدافعها مجدداً عبر القناة ، وأعلن متحدث باسم الحكومة المصرية أنها لم تعد مقيدة بوقف إطلاق النار ، وكان ذلك هو المناخ الذى استشهد فيه الفريق عبد المنعم رياض رئيس الأركان وسط جنوده على الجبهة فى حدث هو الأول من نوعه فى تاريخ العسكرية العربية الحديثة .

ولقد تضمنت حرب الاستنزاف هجمات متعددة ضد الاحتلال فى سيناء، وحتى فى مناطق خارج منطقة الصراع تماماً ، وقد لفت النظر أن ما أصاب السلاح البحرى الإسرائيلى من خسائر على امتداد عمره وقعت كلها خلال حرب الاستنزاف فقط ، بدءاً بإغراق المدمرة إيلات ومروراً بتدمير الحفار "كيتينج" وتحطيم السفينتين المسلحتين " داليا " و " هيدروما " ، ثم ناقلة الجنود "بيت شيفع" فالغواصة " داكار " ، ثم السفينة التجارية " بات يام " وسفينة أبحاث البحرية ، وانتهاء بقصف ميناء إيلات ثلاث مرات متتالية ، فلولا حرب الاستنزاف لظلت البحرية الإسرائيلية تتباهى بأنها السلاح الذى لم يتعرض لخسائر قط.

لقد سطر أبطال " المجموعة ٣٩ قتال " بقيادة العميد إبراهيم الرفاعى الذى استشهد فيما بعد فى حرب أكتوبر أسمائهم فى سجل التاريخ بالنظر إلى المهام الخطيرة التى أوكلت إليهم وتم تنفيذها بنجاح خلال حرب الاستنزاف،

وكانت تلك المجموعة تضم خيرة مقاتلى الصاعقة والضفادع البشرية ، وأذاقت جيش الاحتلال الإسرائيلى الويل والأهوال وسببت لجنوده حالة هستيريا دائمة حتى أنهم كانوا يحاولون الوصول بأية وسيلة إلى معلومات عن تلك المجموعة وأساليب عملها ، بل أنهم حددوا أسماء ثلاثة من رجال المجموعة للوصول إليهم أحياء أو أموات وهم الشهيد إبراهيم الرفاعى والقائد الثانى للمجموعة الدكتور على نصر ثم المقاتل الفذ على أبو الحسن الذى شارك فى ٤٤ عملية خلف خطوط العدو فى حرب الاستنزاف وحرب أكتوبر .

فى رد وحشى على خسائره فى حرب الاستنزاف ، قرر العدو الإسرائيلى فى ٦ يناير ١٩٧٠ إدخال السلاح الجوى الإسرائيلى إلى المعركة ، وزعمت رئيسة وزراء إسرائيل جولدا مائير أن الطريقة الوحيدة لمنع المصريين من تحرير سيناء هى ضرب العمق المصرى بعنف ، ودخل الطيران الإسرائيلى بكل ثقله مدعوماً بالمقاتلات الحديثة من طراز سكاى هوك والفانتوم والميراج ليبدأ بمهاجمة القوات العسكرية فى البداية ثم انتقل إلى الأهداف المدنية ، نظراً لأن السياسة التى اتبعها السوفيت عقب نكسة ١٩٦٧ كانت تقضى بتزويد مصر بأسلحة دفاعية وعدم تزويدها بأسلحة متقدمة فقد فرضت إسرائيل سيطرتها الجوية ليس فقط على الجبهة ولكن على مصر كلها .

ونفذ الاحتلال الإسرائيلى العديد من الهجمات الجوية خلال الفترة من يناير حتى إبريل عام ١٩٧٠ م وبلغ إجمالى طلعات الطيران ٣٨٣٨ طلعة جوية، وخلال هذا التصعيد ارتكبت مقاتلات الاحتلال الإسرائيلى جريمتين بشعتين وهما الغارة الجوية على مصنع أبو زعبل والاخرى على مدرسة بحر البقر فى ٨ إبريل ١٩٧٠ ، الأولى تسببت بمقتل ٧٠ عاملاً وإصابة ٦٩ آخرين وزعمت إسرائيل أنها وقعت بطريق الخطأ والأخرى تسببت بمقتل ٣١ طفلاً وجرح ٣٦ آخرين .

لذلك بدأ التنفيذ لبناء شبكة الصواريخ بالجبهة وتم حشد كميات هائلة من المواد الهندسية لتنفيذ بناء مواقع الصواريخ ، وصلت إلى ٣٠ مليون متر مكعب من أعمال الحفر والردم و٣ ملايين متر مكعب من الخرسانة ومئات الكيلومترات من الطرق ، واشترك فى البناء معظم شركات المقاولات المصرية مع زملائهم من ضباط وجنود القوات المسلحة واستمرت إسرائيل فى مهاجمة قواعد الصواريخ الجارى إنشاؤها واستشهد العديد من رجال وشباب القوات المسلحة والمهندسين والعمال من شركات المقاولات وسالت الدماء على أرض مصر فى سبيل تحرير الأرض واستكمال تنفيذ بناء القواعد .

وفى صباح يوم ٣٠ يونيو ١٩٧٠ تم استكمال مواقع الصواريخ على طول الجبهة وكانت المفاجأة الكبرى لإسرائيل ، فقامت فى نفس اليوم بهجوم جوى بعدد ٢٤ طائرة مقاتلة وكانت النتيجة تدمير أربع طائرات وأسر ثلاثة طيارين ، ولذا أطلقت المعاهد الاستراتيجية العالمية على الإنجاز المصرى أسبوع تساقط الفانتوم ، واستمرت المحاولات الإسرائيلية لتدمير شبكة الصواريخ ، وخلال ٣٨ يوماً وحتى وقف إطلاق النار فى ١٩٧٠/٨/٧ كانت خسائر الجانب الإسرائيلى هى تدمير ١٧ طائرة وإصابة ٣٤ طائرة أخرى .

وفى آخر اجتماع للمجلس الأعلى للقوات المسلحة فى شهر أغسطس ١٩٧٠ ، أعاد الرئيس جمال عبد الناصر التأكيد بكل وضوح على أن أحد الأسباب الرئيسية التى دفعته إلى قبول مبادرة روجرز كان إتمام دفع حائط الصواريخ إلى حافة القناة لتهيئة أرض المعركة للعملية الهجومية التى سوف يأمر بها فور انتهاء الفترة المتفق عليها لوقف النيران لاقتحام القناة واجتياح حصون خط بارليف ، والاستيلاء على رؤوس الكبارى وتأمينها تحت سماء لا تملك إسرائيل – ولأول مرة – السيادة الجوية عليها .